القوس العذراء

محمود محمد شاكر

إلى صَدِيقٍ لا تَبْلِي مودَّتُه:

أمّا بَعْدُ، فإني لم أكنْ أتوقَّعُ يومئذ أن ألقاكَ. وإذا كُنتَ قد أُوتيتَ حياءً يغلُبك عند البغْتَةِ على لسانك، حتى يُعوزَك [1] ما تقول، فقد أُوتيت أنا ضَرباً ثَرثاراً من الحياء، يُطلِق لساني أحياناً عند البَغْتَة، بما لا أحبُّ أن أقول، وبما لا أدري كيف جاء، ولم قيل! كنت خليقا يومئذ أن أقول غير ما قلت، ولكني وجدت شيئا منك يَنْسَرِبُ [2] في نفسي فيُثيرها، حتى يدورَ حديثي كُلُّه على إتقان الأعمالِ التي يُتَاح للمرء أن يزاولهَا ـ في لِمحة خاطفة من الدهر، نُسميها نحن الناسَ : العُمُر!! ياله من غُرُور! بيدَ أنّ هذا الحديثَ أبَى إلا أن ينقلبَ عائداً معيَ في الطريق، يُسايرني، ويُصاحِبني، ويُؤنس وَحْشتي، ويُسرُّ إليَّ بوَسْوسة خفية من أحاديثه التي لا تتشابَه، والتي لا تَتَناهى والتي هي أيضا لا تُمَلُّ. وإذا كانتْ ثرثرةُ حيائي قد صَكّت مَسامعك ببعض عُنفي وصَرَامتي، فعَسى أن يبعثَ في نفسك بعضَ الرضى، ما أرْوِيهِ لك من بقاياَ تلك الأحاديث التي رافقتني منذُ فارقتك إلى أن استقرت بي الدارُ، ثم طارت عني إلى حيثُ يطير كُلُّ فِكْرٍ، وغابتْ حيثُ يغيب!

الإنسانُ خَلقٌ عجيبٌ!! كلّ حَيٍّ، بل كُلّ شيء مخلوق، يسير على نَهْج [3] لاَحب لا يختلّ، يُؤَيِّده هَدْيٌ صادق لا يتبدَّل. ومهما تباينتْ مسالكُهُ في حياته، وتنوَّعت أعمالُه في حِياطة مَعِيشته، فالنهجُ في كل دَربٍ من دُروبها هُوَ هُوَ لا يتغَّيروالهَدْي في كل شأن من شؤونها هو هو لا يتخلّفُ [4].

تُولد الذَّرَّة [5] من النِّمال، وتنمو، وتبدأ سيرتها في الحياة، وتعمل فيها عملَها الجِدَّ، وتَفرغ من حَقِّ وجُودها، ثم تقضي نَحبَها [6] وتموت. هكذا مُذْ كانت الأرضُ وكانت النِّمالِ : لا تتحوّل عن نَهجٍ، ولا تَمْرقُ [7] من هَدْيٍ. وتاريخُ أحدثِها مِيلاداً في مَعْمعة الحياة، كتاريخ أعَرقِ أسلافها هَلاكاً في حَومِة الفَنَاء. لا

---

1 () أعوزه الأمر يعوزه: إذا اشتد عليه وعسر، واحتاج إليه فلم يقدر عليه.

2 () ينسرب: يجري سائلاً متتابعاً لا يكاد يحسه.

3 () النهج: الطريق المستقيم الواضح البين. واللاحب: الطريق الواسع الأملس، لا يعوقك في مسيرك فيه شيء. والهدي: السيرة المستقيمة المؤدية إلى غاية لا تضل عنها.

4 () لا يتخلف: لا ينقطع عنها فيتأخر، ويأتي في غير موعده ومكانه.

5 () الذرة: النملة الصغيرة الحمراء. النمال (جمع نملة).

6 () تقضي نحبها: تفرغ من عملها، وتبلغ مدة أجلها.

7 () تمرق: تخرقه وتخرج منه ضالة على وجهها.

هي تُحدِث [8] لنفسها نَهجاً لم يكنْ، ولا هي تبتدعُ لوارثِها هَدْيا لم يتقدَّمْ.

فسَلْ كل حيَّ : كيف تعملُ؟ ولِمَ تعمَلُ؟ ومَن الذّي عَلَّمَكَ وهَدَاك؟ ومَن الإمامُ الذي سَنَّ لكَ الطريقَ [9]؟ وبأيّ عبقريّة يأتي إبداعُك؟ ولمَ كان عملُك نَسَقاً [10] مُنْقادًا لا يتغير؟ وكيف كَانتْ مهَارتُك تُراثاً [11] مُؤَبَّدًا لا يتبدل؟ وحذْقُك طَبْعاً راسخاً لا يتحوَّل؟ ولم صارتْ سُنّة [12] الأوائل منكم لِزَاماً على الأواخر؟ ومِنهاج [13] الغابرين شَرَكاً للوارثين! بل كيف أخطأ الآخرُ منكُمْ أن يَسْتدرِك عَلَى الأوَل؟ والخَلفُ أن يُنَافِس صَنعْةَ السَّلَف؟ وعَجَباً إذنْ! كيف صارَ كُلّ عملٍ تَعْمَله مُتْقناً، وأنت لم تَجْهَدْ في إتقانه؟ وأنى بلغتَ فيه الغاية، وأنت مسلوبٌ كلّ تدبير ومَشِيئة؟ وما أنتَ وعملُك؟ أتحبُّه وتألفُه؟ أم تَشْنَؤُه [14] وتسأمُه؟ أتُخامُرك نَشْوة الإعجابِ؟ أبدعتَ فيه؟ أم تنتَابُك لَوْعة الحُزْن إذ أصابه ما يُتْلِفُه أويؤْذيه؟ ألم تسألْ نفسكَ قطّ : فيمَ أعمَل؟ ولمَ خُلِقت؟ وفيمَ أعيشُ؟

وأنا على يقين من أنّك لن تسمَعَ جواباً إلا الصَّمَت المُستَنِكرَ، والذُّهولَ المُعرضَ، والصمَم المُسْتَخِفَّ الذي لا يَعْبَأ.

* * *

إلاّ الإنْسانُ!! إلاّ الإنْسان!!

ليتَ شِعْري كيف كَانَ مَدْرَجُ [15] أوَّله على أمِّه الأرض؟ وأيُّ هَدْيٍ كان لَفَرطه في مَطْلَعِ الفجْر؟

إنّه ككلّ حيّ، لم يُخْلَق سُدًى [16] ولم يُتْرك هَمَلاً. سلَك له

---

8 () تحدث: تبتدع طريقاً مخالفاً لسنة خلقها.

9 () سن الطريق: بينه ووطأه مستقيماً إلى قصد معروف.

10 () نسقاً: أي نظاماً متتابعاً متواتراً على سواء السبيل. منقاداً: سلساً مفضياً إلى نهايته.

11 () التراث: الإرث المورث، والمؤبد: الخالد منذ أبد الآبدين .

12 () السنة: الطريقة والسيرة اللازمة.

13 () المنهاج: المسلك الواضح. الغابر: الماضي. والشرك: جادة الطريق لاتخفى معالمها، لظهور آثار السائرين فيها، فالسائر كأنه يهتدي فيها ويستقيم اضطراراً.

14 () تشنؤه: تجده قبيحاً شنيعاً فتبغضه، تخامرك: تخالط نفسك فَتُغَطِّي على حسن تمييزك، كما تفعل الخمر بالعقول.

15 () مدرج أوله: دبيب آبائه الأولين عليها. درج الصبي: دب على الأرض ومشى مشياً ضعيفاً. والفرط: السابق المتقدم.

16 () سدى: مهملاً غير مأمور ولا منهي ولا مسدد. الهمل: الضال المتروك بلا

ربُّـه النَّهْـجَ الأوّل [17] حـتى يتكـاثَر، وآتـاهُ الهـدْيَ القـديمَ حتّـى يَسْتَحْكِمَ، وسدَّد يَدَيْه حتى يشتدّ، وأنارَ بَصِـيرتَه حـتى يَسْـتَكِمل، وأنْبَطَ [18] فيه ذخائر الفطْرة حتى يَسْـتبحِر، وفَجَّـرَ فيـه سَـرائرَ الإتقان حتى يَسُودَ ويتملَّك، وعلّمه البَيانَ حتى يَسْتَفْهِمَ، وكرَّمـه بالفَتْح حتى يَتَغلَّب.

فلَمـا ثَبَـتَ عليهـا وتأيَّـد [19]، وتأثَّـل فيهـا وعَمَـر، نَظَـر إلـى معروفهـا فـاعتَبَر، وهجَـم علـى مَجهولهـا فاسـتنكَرَ، فكـأنَّهُ مـن يومئذٍ حادَ [20] عن النهج الذي لا يخَتلّ، ومَرَق مـن الهَـدْي الـذي لا يتبدّل.

ابتُليَ من يومئذ فتَمرَّس [21]، وأُسـلِم لمَشِـيئته فتحيَّـر. جـارَ وعَدَل، فعَرف وجرّبَ. أخطأَ وأصاب، ففكّر وتدبر. نـزع [22] إلـى النهج الأوّل، فأخفَق وأدرك. تـاق إلـى الهـدي القـديم، فـأعْطِي وحُرِم. احتَفـر [23] ذخـائر الفِطـرة، فأكْـدَت عليـه تـارَةً ونَبَعْـت. التمس شواردَ الإتقان، فنَدّتْ [24] عليه مرَّةً واستقادتْ. وإذا كلُّ صُنْعٍ يتقاضاه حَقُّ إحسانِه، وكلّ عملٍ يَحنُّ بِه إلى قرارِة إتْقانه. فعندئذ حاكَ الشكُّ في صدْر اللاحق، حتى قَدَح فـي تمـام صُـنْع السَّـابِقِ، فَاسْـتدرَك عليـه. وقلِـقَ الـوارثُ، حـتى خـاف تقصـيرَ الذاهب، فاستنكفَ الإذعانَ إليه. فكذلك جاشتْ نفسُه [25]، حتى انْدفقت صُبابةٌ منها فيما يعمل، وتَضَرَّمَ قلبُه، حتى ترك مِيسَـمه [26] فيما أنشأ فَتَدَلَّهَ بصُنْع يديْه، لأنّه استودعه طائفة من نفسه،

بيان يهديه أو يحكمه.

17 () النهج الأول، والهدي القديم هو الفطرة التي فطر الله عليها آدم وولده قبل اختلافهم وضلالهم، ونزول التكليف، وبعثة الأنبياء.

18 () أنبط: استخرج الماء من بطن الأرض. الذخائر (جمع ذخيرة) وهو ماتخيرته فأخفيته ودفنته عن العيون. يستبحر: ينشق ويتسع ويصير كالبحر لاينقطع ماؤه. السرائر (جمع سريرة):وهو ماكان مكتوماً كالسر، لايعرف حتى تعلنه. والفتح:ما انفتح بعد استغلاق.

19 () تَأيَّد: صار ذا أيد وقوة وتمكن. تأثل: تقادم عهده وثبت أصله. عمر: عاش وبقي زمانا طويلاً.

20 () حاد: مال عنه وعدل إلى غيره. مرق: خرقه وخرج إلى ضلال المسالك.

21 () تمرس: احتك بالشيء فأثر فيه. أسلم: ترك مخذولا بلا هداية.

22 () نزع: حن واشتاق.

23 () احتفر: بذل الجهد في الحفر. أكدى حافر البئر: إذا حفر فبلغ الصخور، فقطع الحفر خيبة ويأساً.

24 () ندت: نفرت هاربة واستصعبت. استقادت: خضعت وأعطته المقادة.

25 () جاشت نفسه: فارت وارتفعت. والصبابة: بقية الماء التي تصب.

26 () الميسم: اثر الوسم بالنار، تدله: ذهب عقله من الحب والهوى

وفُتِن بما اسْتَجَاد [27] منه، لأنه أفْنَى فيه ضِراماً مـن قْلبـهِ. وإذا هو يَسْتَخِفُّهُ الزَّهْوُ [28] بما حَازَ منه ومَلَك، ويُضـنِيه الأسَـى عليـه إذا ضاع أوْ هلَك.

هذا هُوَ الإنسان وعملُـه. فـإذا دبَّـت بينَهمـا جَفْـوة تَخْتـل [29] النَّفس حتى تَمَلّ وتَسْأم، أوْ عَدَتْ اليهما [30] نَبْوة تُـراودُ القلـبَ حـتى يَميـل ويُعـرضَ، انطمسـتْ عندئـذٍ أعَلامُ [31] النهـج الأوّل، وركدتْ بَوارقُ [32] الهدْيِ المُتقادِم، وبقي الإنسانُ وحيداً مَلُومـاً مَحُسوراً لا يزال يسْأل نفسَه: فيمَ أعملُ؟ ولـم خُلِقـت؟ وفيَـم أعيـش؟ فمـا يكـون جـوابُه إلاَ حَيْـرةً لا تَهْـدَأ، ولهيبـاً لا يَطفَـأ، وظَلاماً لا يَنْقِشع.

* * *

بل حَسْبي وحسُبك. فلقـد خشـيتُ أن تقـول لـي: إنّمـا أنـتَ تحدّثني عن الفنّ، ـ فهذه صفِة أهله ـ لا عن العمل، فليس هـذا من نَعْتِه! وكأنّي بـك قـد قلـتَ: إنَ الفـنّ تَـرَفٌ مُسْـتَحْدَثٌ، أمـا العمل فشقاء مُتَقادِم. هذا مّمـا تَعجَّلـه الإنسـانُ وعانـاهُ لقَضـاء حـاجته، وذاك مّمـا تَـأنَّى فيـه وصـافَاه [33] للاسـتمتاع بلـذّته. والإنسان إذا جوَّدَ العمل، فمُنْتهَـى هَمِّـه أن يجعلَـه علـى قضـاءِ مآرِبه أعْوَنَ، أو يكونَ له في أسبابِ معيشـته أنَجـح وأربـح. أمّـا الفنّ، فَثَمَرة لغَير شجرته، يَسْقيها متأنِّق [34] من ينابيعَ ثرَّةٍ فـي وُجْدانه، وينْضجُها مشغوفٌ بِلاعجٍ منْ وَجْـده وافتتـانِه، فـي غيـر مَخَافةٍ مَرْهوبة، ولا مَنْفعة مَجْلوبَة، فذاك إذن بطبيعته مسـتهلك

---

27 () استجاد: وجد لذة جودته وحسنه.

28 () الزهو: التيه والفخر والعظمة.

29 () ختله: خدعه على حين غفلة.

30 () عدت إليه: أسـرعت إليـه على حين بغتـة. والنبـوة: القلـق الـذي يمنع الاطمئنان.

31 () أعلام (جمع علم): وهو المنار الذي ينصب في الطرق لهداية السارين.

32 () ركد البرق: سكن وميضه. والبوارق (جمـع بارقـة): وهـي السـحابة ذات البرق.

33 () صافاه: أخلص له الحب، وأعطاه صفو مودته وهمه.

34 () المتأنق: الذي يعمل الشيء بتجويد يـأتي فيـه بـالعجب، حبـاً لمـا يعمـل وإعجاباً به. ثرة: غزيرة الماء. لاعج: محـرق يسـتعر فـي القلـب ويـترك فيـه آثاراً.

مُمتَهن[35]، وهذا لحرمة نَشْأته مَذْخورٌ [36] مُكرَّم.

وأقول : بل أنت تحدّثني عن الإنْسان وقد فَسَق [37] عن تِلاد فطْرته، واسَتْغَواه [38] الشُّحّ حتى انْسلخ من ركـاز جبلَّتـه. غَـرَّهُ ما أُوتيَ من التدبير، فاقتحم على غَيْب مُدَبَّر، يَعْتسـفُه بسَـفاهة جُرأته. واستخفّه ما أُعيـن بـه مـن المَشـيئة، فهجَـم علـى خْيـرٍ مبذول، يستكثِر منه بضَراوة [39] نَهْمَته. فـانْبَتَّ مـن يومئـذ فـي فَلاة مَطْموسـة بلا دَليـل، يَظـلُّ يكـدح فيهـا كـدْحًا حـتى يُنـادَى للرَّحيل!

جَاء مُيسَّراً لشيء خُلـقَ لـه، فظلمـه حقَـه حـتى عَضِـل [40] بأمره فتعسَّر، وهُديَ مسددًا إلى غايـة، فَغَفـل عنهـا حـتى تبـدّد خَطوه واختلّ. ولو دانَ الإنسانُ بالطاعة لِفطْرته المكنونـة فيـه منـذُ وُلِـد، لأفْضـى إلـى خَبْئهـا [41] التَّليـد إذا مـا اسْـتوىَ نَبْتُـه واستحصَد. ولصارَ كلّ عمل يَعْتَمِلُه [42]، تدريبا لما استْعَصى منه حتَّى يلينَ وَيْنقادَ، وتهذيباً لما تراكم فيه حتى يَرِفَّ [43] ويتوهَّـج. فإذا دَرِب عليه وصَبَر، أزال الثرى عن نَبْعٍ مُنْبِثق، فإذا ألـحّ ولـم يَملَّ، انشَقَّت فطرتُه عن فْيضٍ متدفّق. ويومئذ يُسْفر [44] لَعينيه مَدَبُّ النَّهجِ الأوّل، بعد دُرُوسه وعِفائه، ويَسْتَشْرِي فـي بَصـيرته وَميضُ الهَدْي المتقادِم، بعد رَكْدته وخفائِه. وإذاَ كلّ عملٍ يَفْصم

---

35 () ممتهن: مبتذل.

36 () مذخور: يتخذه المرء ذخيرة يصطفيها ويضن بها.

37 () فسق: خرج منها إلى الضلال. والتلاد: القديم الموروث الذي يولد معك.

38 () استغواه: طلب غوايته وضلاله. وانسلخ: نزع نفسه منه. والركاز: أصـله، قطع الذهب والفضة المركوزة المدفونة في باطن الأرض. والجبلة: الطبيعـة الراسخة التي يبنى عليها الخلق. يعتسفه: يركب طريقه بلا روية ولاهدايـة ولا أناة.

39 () الضراوة: اعتياد الشيء حتى لايكاد المرء يصبر عنـه. والنهمـة: الشـهوة الـتي تسـوق النفـس فلا تكـاد تنتهـي. انبـت: أتعـب دابتـه فـي السـير حـتى انقطعـت بلا رجعـة. والفلاة: الصـحراء المنقطعـة لا مـاء بهـا ولا أنيـس. مطموسة: دارسة لا أثر فيها.

40 () عضل: ضاق فلم يدخل ولم يخرج.

41 () الخبـء: المخبـوء. التليـد: القـديم المـوروث. اسـتوى: بلـغ غايـة نمـائه واعتدل. واستحصد: حان له أن يؤتي حصاده.

42 () يعتمله: يجاهد في عمله.

43 () يرف: يبرق ويتلألأ.

44 () يسفر: يشرق ويبين ويتوضح، والمدب: موضع دبيب الأقدام. والـدروس: ذهاب الآثار وامحاؤها. والعفاء: تراكم التراب الذي يطمـس الآثـار. استشـرى البرق: تتابع لمعانه. الوميض: لمعان البرق في نواحي الغيم. يفصـم: ينفصـل عنه دون أن ينقطع السبب بينه وبين عمله.

عنْه مُتْقَنًا، وكأنّه لم يجْهد في إتْقانِه، وإذا هو مُشرفٌ فيه علـى الغاية، وكأنه مسلوبٌ كـلّ تـدبيرٍ ومَشِـيئة، ولكنّـه لايَفْصـمُ عنـه حين يفصِم، إلاّ مَطْويًا على حُشاشةٍ [45] من سِرّ نَفْسه وحيـاته، موسوماً بلَوْعَةٍ مُتَضـرمة، علـى صَـبْوَةٍ [46] فَنِيـتْ فـي عِشـرته ومُعَاناته.

فالعمـلُ كمـا تَـرَى، هـو فـي إرثِ [47] طَبِيعتـه فـنٌ مُتمكّـن، والإنسانُ بَسِليقة [48] فِطْرَتِه فَنَّان مُعْرِقٌ.

* * *

وإنّي لَمُحدِّثك الآنَ عن رجُلٍ من عُـرض البشَـر [49]، يَتَعيـش بكدِّ يَديْه، صابَرَ [50] الفاقةَ عامَيْن، يعمَل عملاً يُفْلِتُ نَفَسًـا مـن الغنى إليه، أغواهُ ثَراء يَبْهرهُ، فما كـاد يُسْـلِمه للبَيْـع حـتى بكَـى عليه.

لم أعْرفُه، ولكن حدَثني عنـه رجُـلٌ مثْلُـه عَمَلُـه البَيـان، ذاك فِطْرتُه في يَدَيه، وهذا فطْرتُه في اللِّسان.

* * *

هذا عامرٌ أخو الخُضْر : توجَّسَتْ [51] به الوحْشُ من عِرْفانهـا شدّةَ نِقْمته، جاءتْ ظامئة في بَيْضَة الصيف [52]، فراعَها مَجْثَمهُ في قُتْرتِه. قليلُ التِّلاد، غيرَ قوسٍ أو أسْهُمٍ، خفـيّ الِمهَـاد، غيَـر مُقْلة تتضـرَّم. تـبيَّنتْ لَمْـحَ عَيْنيـه، فـانقلبَتْ عـن شـريعة المـاء هاربـة، ذكـرت نِكايـة مَرْمـاهُ، فـآثرت مِيتَـةَ الظّمـأ علـى فَتْكـة الأسْهُم الصائبة.

وما عامرٌ وقَوْسَه؟!

1 ـ فَدَعِ الشَّمَّاخَ يُنْبِئْكَ عن قَّواسِها البَائِس في حَيْثُ أَتاَهاَ:

2 ـ أيْن كاَنتْ فيِ ضَمِير الغَيْبِ منْ غِيلٍ [53] نَماَهاَ؟

---

45 () الحشاشة: روح القلب، ورمق حياة النفس.

46 () الصبوة: الحنين الداعي إلى الميل مع الهوى.

47 () الإرث: الأصل الموروث.

48 () السليقة: الطبيعة التي لاتحتاج إلى تعلم. معرق: أصيل، له عروق ممتدة إلى أصوله.

49 () عرض البشر: غمارهم وكثرتهم، بلا تحديد أو تعيين.

50 () صابر: تكلف معها الصبر على عنت ومشقة. نفساً: قليلا ينفس عنه.

51 () توجست: تسمعت إلى صوته الخفي على خوف.

52 () بيضة الصيف شدة حره. مجثمه: جثومه في مكمنه لا يتحـرك. والقـترة: حفرة الصائد يكمن فيها. قليل التلاد: لا مـال لـه مـوروث. والمهـاد: الموضـع الذي يمهده لنفسه. شريعة الماء: الموضع الذي ينحدر إلى الماء

53 () الغيل: الشجر الكثير الملتف. نماها: رفعها وسواها وانتسبت إليه

3 ـ كَيْف شقَّتْ عينُهُ الحجْبَ إليْها، فاجْتَبَاهَا [54]؟
4 ـ كَيْفَ يَنْغَلُّ [55] إلَيْهاَ فيِ حَشاَ عِيصٍ وقاَهَا؟
5 ـ كَيْفَ أنحى [56] نَحْوَها مِبْرَاتَهُ، حتى اخْتَلاَهَا؟
6 ـ كَيْفَ قَرَّتْ فيِ يديه، واطْمأنَّتْ لِفَتَاهَا؟
7 ـ كَيْفَ يَسْتَودِعُها الشَّمْسَ عَامَيْن.. تَرَاهُ وَيَرَاهَا؟
8 ـ كَيْفَ ذَاقَ البُؤْس.. حتى شَربَتْ ماَء لِحاَها [57]؟
9 ـ كَيْفَ نَاجَتْهُ.. وَنَاجَاها.. فَلاَنَتْ.. فَلوَاهَا؟
10 ـ كَيْفَ سَوَّاهَا.. وَسوَّاهَا.. وَسَوَّاهَا فَقَامَتْ.. فَقَضَاهَا؟
11 ـ كَيْفَ أعطَتْهُ منَ اللِّين، إذَا ذَاقَ [58]، هَوَاهَا؟
12 ـ أيُّ ثَكْلَى أعَولَتْ إذْ فَارَقَ السَّهْمُ حَشَاهَا؟
13 ـ كَيْفَ يُرْضِيهِ شَجَاهَا؟ كَيْفَ يُصْغِي لبُكاَهَا؟
14 ـ كَيْفَ ريعَ الوَحْشُ من هَاتِفِ سَهْم إذْ رَمَاهَا؟
15 ـ كَيْفَ يَخْشَى طَارِقاً، فيِ لَيْلَةٍ يَهْمِي [59] نَدَاهَا؟
16 ـ كَيْفَ رَدَّاهَا [60] حَريرَ البَزِّ حِرْصاً وَكسَاهَا؟
17 ـ كَيْفَ هَزَّتْهُ فَتَاهَا؟ وَتَعالَى وَتَبَاهى؟
18 ـ كَيْفَ وَافى مَوْسَم الحج بِهَا؟.. مَاذَا دَهَاهَا؟
19 ـ أيُّ عَيْنٍ لَمَحَتْ سرَّهُمَا المُضْمَرَ؟.. بَلْ كَيْفَ رَآهَا؟
20 ـ انبَرَى كَالصَّقْرِ يَنْقَضُّ إلَيهَا.. فَأتَاهَا!!
21 ـ مَسَّهَا ذُو لَهْفَةٍ تَخْفى..، وَإنْ جَازَتْ مَدَاهَا
22 ـ قَالَ: سُبْحَانَ الذيِ سَوَّى!! وأفْدِي مَنْ بَرَاهَا
23 ـ أنْتَ..!! بِعْنِيهَا..
ـ نَعَمْ إن شِئْتَ!! [تَعْسَا وَسَفَاهَا] [61]
24 ـ قَالَ : بِالتِّبْرِ.. وَبالفِضَة، بالخزِّ.. وَمَا شِئْتَ سِوَاهَا
25 ـ بِثِيَاب الخالِ [62].. بِالعَصْبِ المُوَشّى.. أتَراهَا؟

---

54 () اجتباها: اختارها واصطفاها.
55 () انغل: تغلغل بين شجرها. الحشا: الجوف. العيص: الشجر النابت بعضه في أصول بعض.
56 () أنحى: وجه وسدد. اختلاها: جزها وقطعها.
57 () اللحاء: قشر العود من الشجر.
58 () ذاق القوس: جذب وترها لينظر ماشدتها.
59 () يهمي: يسقط ويسيل.
60 () رداها: جعله لها رداء والبز: الثياب.
61 () سفاها: دعاء عليه بخسران نفسه.
62 () ثياب الخال: ثياب رقيقة تصنع ببلدة الخال. العصب: برود كانت تصنع باليمن، يعصب غزلها ويجمع ثم يصبغ فيأتي موشىً لبقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ. والموشى: المختلط الألوان.

26 ـ وأدِيمِ [63] الماعِزِ المَقْرُوظِ.. أرْبَى مَنْ شَراهَا!
27 ـ [كَيْفَ قَـالَ الشَّـيخُ؟!.. كَلاَّ! إنَّهَـا بعْضِـي وَالمَـالُ؟. بَـل
ِالمالُ فَدَاهَا
28 ـ إنّها الفاقةُ والبُؤسُ!!.. نَعَمْ!.. هذا غِنَـى!!.. كَلاَّ وشَـاهَا
[64]
29 ـ بَلْ كَفَاني فَاقَةً.. لاَ!.. كَيْفَ أَنْساهَا؟.. وَأَنَّى؟! وَهَوَاهَا]
30 ـ لَمْ يَكَدْ.. حَتَّى رَأَى نَاسَا، وَهَمْساً، وَشِفَاهَا:
31 ـ بَايِعِ الشَّيْخَ! أَخَاكَ الشَّيْخَ!.. قَدْ نِلتَ رِضَاهَا!!
32 ـ إنَّهُ رِبْحٌ..! فَلاَ يُفلِتْكَ!.. أعطَى، واشْتَرَاهَا [65]!
33 ـ وَرَأَى كَفَّيه صفْراً، وَرَأَى المَالَ... فَتَاهَا [66]
34 ـ لَمْحةً...، ثُمَّ تَجَلى الشَكُ عَنْهُ...، فَبَكَاهَا!
35 ـ وَرَثَاها بدُمُوع، وَيحَهُ! كَيْفَ رَثَاهَا؟1
36 ـ فَتَوَلَّى.. وَسَعِيرَ النَّارِ يُخْفِي وَلظَاهَا!
37 ـ حَسْرَةٌ تُطْوَى عَلَى أُخْرَى..، فأَغْضْى... وَطَوَاهَا!
* * *
فاسمعْ إذنْ صَدَى صوتِ الشّمَّاخ:
38 ـ تَجَاوبُ عَنْهُ كُهُوفُ القُرُونِ، تَرَدَّدَ فِيها كَأنْ لم يَزَلْ
39 ـ وَأَوْفَى عَلَى القِمَم الشَّامخَات: جبَالٌ مِـنَ الشِّـعْر مِنْهَـا
اسْتَهلْ [67]
40 ـ تَجَدَّرُ أَنْغَامُه المُرْسَلاَتُ، أَنَغَامَ سَيْلٍ طَغَى وَاحتَفَلْ [68]
41 ـ رَأَى حُمرَ الوَحْشِ، فَابْتَزَّهَا [69] بِلاَبِلَها منْ حَدِيث الوَجَلْ
42 ـ رَآهَا ظَمَاءً إلَى مَوْرِدٍ، فَفَزَّعَها عَنْه خَوْفٌ مَثَلْ[70]
43 ـ فَطَارتْ سِراعَا إلى غَيرِه، بِعَدْوٍ تَضَرَّمَ حَتى اشتَعَل
44 ـ فَلَم تَدْنُ حَتَّى رَأتْ صَائِدَينِ، فَصَـدَّتْ عَـنِ المَـوْتِ لمـا
أَهَلّ

---

63 () الأديم: الجلد المدبوغ. المقروظ: المدبوغ بالقرظ. أربى: زاد ماله وارتفع على مايستحقه. شراها: باعها.
64 () شاه الوجه: صار قبيحاً مشوهاً تكرهه النفس.
65 () اشتراها: باعها.
66 () تاه: من التيه، وهو العجب والفرح.
67 () استهل المطر: هطل واشتد انصبابه.
68 () احتفل السيل: جاء بملء جنبي الوادي.
69 () ابتزها: غلبها وغصبها وسلبها، والبلابل: وساوس القلب التي تضطرب فيه. الوجل: شدة الخوف.
70 () مثل: انتصب قائماً.

45 ـ فَكَالبَرْقِ طَارَتْ إلى مَأمَن عَلَى ذِي الأرَاكَةِ [71] صــافيِ النَّهَلْ
.. فحَّلأهَا عَنْ ذِي الأرَاكَةِ عَامِرٌ
أخُو الخُضْرِ، يَرْمِي حَيْثُ تُكْوَى النَّواحِزُ
ـ قلِيلُ التِّلاَد، غَيَر قَوْسٍ وَأَسْهُمٍ؛ *** كَـأَنَّ الَّـذي يَرْمِـي مـنَ الوَحْشِ، تَارِزُ
ـ مُطِلاًّ بزُرْقٍ مِا يُدَاوَى رَمِيُّهـا، *** وَصَـفْرَاءَ مِـن نَبْـعٍ عَلَيْهَـا اَلجلاَئِزُ
46 ـ فَكَيْفَ تَدَسَّسَ هَذَا البَيانُ حَتَّى رَأَى بعُيُونِ الحُمرْ؟
47 ـ وَكَيْفَ تَغَلْغَلَ هَذَا اللسَانُ وَبَيَّنَ عَنْ رَاجِفَاتِ الحَذَرْ [72]
48 ـ لَوَاهَا [73] عَنِ الرِّيِّ عِرْفَانَهَا أَخَا الخُضْرِ، عرْفَان مَن قَـدْ عَقَلْ!
49 ـ وَعَلَّمهاَ أَيْن تُكْوى اُلجنُوب بنَارِ الطَّبِيبِ لِدَاءِ نَزَلْ!
50 ـ وَأَنَّ اَلخَصَاصَـةَ [74] قَـوْسُ البَئِيـسِ، إذَا انْقَـذفَ السَّـهْمُ عَنْها قَتَلْ!
51 ـ يُسَابِقُ مُسْتَنْهِضَاتِ [75] الفِرَارِ فَيَقْتُلُهَا قَبْلَ أَنْ تَنْتَقِلْ!
52 ـ فَيُدرِكُهَا اَلموتُ مَغروسَة قَوائِمُها في الثَّرى..، لَمْ تَزُلْ!
53 ـ وَعَرَّفَهَا أَنَّهُنَّ السِّهَامُ: زُرْقٌ تَلأْلأُ أَوْ تَشْتَعِلْ!
54 ـ وَصَفْرَاءُ فَاقِعَة [76] ، أَذْ كَرَتْ مَصَارِعَ آبآئِهِن الأول
55 ـ سِهَامٌ تَرَى مَقْتَلَ الحَائمَـاتِ [77] ، وقَـوسٌ تُطـلّ بِحثْـفٍ أَظَلّ!
ـ تَخَّيرَهَا القَوَّاسُ مِنْ فَرْعِ ضَـاَلِة *** لَهَـا شَـذَبٌ مِـنْ دُونِهـا وَحَوَاجزُ
ـ نَمَتْ في مَكَانٍ كنهَا، فَاسْتَوتْ بِهِ، *** فَمَا دُونَها مِنْ غِيلِهَـا مُتَلاَحِزُ
ـ فَمازَالَ يَنْجُو كُلَّ رَطـبٍ وَيَـابِس *** وَيَنْغَـلُّ..، حَتَّـى نَالَـهَا وَهْوَ بَارِزُ

---

71 () ذو الأراكة: موضع ماء. النهل: أول الشرب عند ورد مناهل الماء.
72 () راجفات الحذر: التي ترجف بالقلب، حتى يضطرب اضطرابا شديدا.
73 () لواها: صرف وجوهها عن الشرب.
74 () الخصاصة: الجوع والفقر والحاجة وسوء الحال. والبئيس: الفقير البائس الشديد البؤس.
75 () مستنهضات الفرار: التي تنهض به داعية الفرار.
76 () فاقعة: خالصة اللون مشرقة.
77 () الحائمات: التي تحوم الماء عطاشاً. الحتف: الهلاك. أظل: دنا وقرب، وألقى على الشيء ظله.

ـ فأَنْحَى عَلَيْها ذَاتَ حَـدّ، غُرَابُهَـا *** عَـدُوٌّ لِأَوْسَـاط العِضَـاهِ مُشَارِزُ
ـ فَلما اطْمَأَنَّتْ فـي يَـديْهِ..، رَأَى غِنَّـى *** أَحَـاطَ بِـهِ، وَأَزْوَرَّ عَمَّنْ يحُاَوِزُ
56 ـ تَخَيَّرهَا بَائِسٌ، لَمْ يزل يُمَارِسُ أَمْثَالهَا مُذْ عَقَلْ
57 ـ تَبَيَّنَهَا وَهْيَ مَحْجُوَبةٌ، وَمِنْ دُونِها سِتْرُهَا المُنْسَدِلْ [78]
58 ـ حَمَاهَا العُيُونَ فأَخْطَأَنَهَا، إلىَ أَنْ أَتَاهَا خَبِيْر عَضِلْ [79]
59 ـ رَأَى غَادَةَ نُشَّئَتْ في الـظِّلاَل، ظِلالِ النعيِم، فَصَـلَّى[80] وهَلّ
60 ـ فَنَادَتْه مِنْ كِنِّهَا [81] فَاسْتَجَابَ: لَبَّيْكِ! [يَاقَدَّهِا المُعتَدلْ]
61 ـ سُتُورٌ مُهَدَّلَةٌ [82] دُونَهَا، وَحُرَّاسُها كَرِمَاحِ الأَسَلْ
62 ـ يَبيسٌ [83] ورَطْبٌ وَذُو شَوكة فأَشَرطَها نَفْسَهُ.. لمُ يَبلْ
63 ـ وَسـلَّ لِسَـاناً مـن البـاتِرَاتِ،... وَانَغـلَّ [84] عاشِـقُها المُخْتَبَلْ!!
64 ـ يَحُـتُّ اليَبِيـسَ [85]، ويُـرْدِي الرِّطَـابَ، ويُغْمِـضُ فـي ظُلَمات تُضِلْ
65 ـ فَهَبَّكَ أَسْتَارَهَا بَـارِزاً إلـى الشَّـمْسِ.. قـد نَالَهـا! حَيَّهَـلْ [86]!!
66 ـ فَأَنْحَى [87] إلَيْهـا الِّلسَـان الحَدِيـدَ يَبْـرُقُ..، وَهْـوَ خَصِـيمٌ جَدِلْ
67 ـ عَدُوٌّ شرِيس [88]، لَه سَطْوَةٌ بكُلِّ عَتِيٍ قَدِيِم الأَجَلْ
68 ـ فَأَتْكل أُمَّا غذَتْها النَّعيمَ، ورَاحَ بِهاَ وَهْوَ بَادِي الجَذَلْ [89]

---

78 () المنسدل: الطويل المسترخي المرسل.
79 () عضل: داهية منكر شديد الغلبة.
80 () صلى: دعا وعظم الله وقدسه. هل: فرح وصاح.
81 () الكن: المكان الذي يسترها ويحجبها عن العيون.
82 () مهدلة: مرخاة متدلية. الأسل: نبات دقيق القضبان طويل شديد الاستواء.
83 () يبيس: يابس. ذو شوكة: ذو شوك. أشرطها نفسه: أعد لها نفسه، إما أن ينالها أو يهلك، غير مبال.
84 () انغل: تغلغل. المختبل: الذاهب العقل.
85 () يحت اليبيس: يستأصل اليابس ويرميه. ويردي: يسقط الرطب. ويغمض: يوغل.
86 () حيهل: كلمة تقال للحث والاستعجال.
87 () أنحى: وجه ناحيتها. اللسان الحديد: هو المبراة الحادة القاطعة. خصيم: شديد الخصومة. جدل: شديد اللدد في الخصومة.
88 () شريس: شديد الشراسة. عتى: طال تمرده وكبره. قديم الأجل: متقادم العمر.
89 () الجذل: الفرح الذي يهز الأعطاف.

69 ـ فَلَمَّا اُطْمَأَنَّتْ على رَاحَتَيه، وَعَيْنَاهُ تَسْتَرِقَانِ [90] القَبَلْ
70 ـ رَقَاهَا، فأَحْيَى صَبَابَاتِها بتَعْوِيذَةٍ مِنْ خَفِيِّ الغَزَلْ
71 ـ فَنَاجَتْه..، فَاهتَّز من صَبْوةٍ، وَمِن فَـرَح بِـالغِنَى المُقْتَبَـلْ [91]
72 ـ وَأَعْـرَضَ عَـنْ كُـلّ ذِي خَلّـةٍ [92]، غِنـىً بـالّتي حَازَهَـا... وَانْفَتَلْ..
ـ فَمَضَّعَهَا عَامَيْنِ مـَاءَ لحَائِهَا *** وَيَنْظُرُ منهَا : أَيَّهـَا هُو غَامِزُ
ـ أَقَـامَ الثِّقـافُ وَالطَّرِيـدَةُ دَرْأَهَـا، *** كَمَـا قَـوَّمتْ ضِـغْنَ السَّمُوسِ المَهَامِزُ
73 ـ مَعَ الشَّمْسِ عَامَيْنِ.. حَتَّى َتِجفَّ وَتَشْرَبَ مَاءَ لِحَـاءِ [93] خَضلْ
74 ـ وَفِي البُؤسِ عَامَيْنِ... يَحْيَـى لَهَـا، وَيُحْييـه منهـا: الغنَـى وَالأَمَلْ
75 ـ تَرِدَّدَ عَامَيْنِ... مِنْ كَهْفِهِ إلَى مَهْدِهَا، عِنْدَ سَفْحِ الجَبَلْ
76 ـ يُغَنِّي لَهَا، وَهُوَ بَـادِي الشَّـقاءِ، بَـادِي البَـذاذةِ [94]، حَتَّـى هُزِلْ
77 ـ يُقلبها بِيَديْ مُشْفِقٍ لَهِيف [95]، لطِيف، رَفِيق، وَجِلْ
78 ـ يُعَرِّضَها لِلَهيبِ الهَجِيرِ، رَؤُوفاً بِهَا، عَاكِفاً لا يَمَلْ
79 ـ فَلَمَّا تَمَحَّصَ [96] عَنْهَا النَّعِيمُ، وَاشْتَدَّ أُمْلُودُهَا، وَانْفَتَلْ
80 ـ عَصَتْهُ، وَسَاءتْهُ أَخْلاَقُهَا نُشُوزا [97]. فَلَمَّا الْتَوَتْ كَالمُدلْ
81 ـ أَعَدَّ الثِّقَافَ [98] لَهَا عاشِقٌ يُؤَدِّبُها أَدَبَ المُمْتَثِلْ
82 ـ وَعَضَّ عَلَيْها.. فَصَاحَتْ لَـهُ، فَأَشْـفَقَ إشْـفَاقَةً، وَانْجَفَـلْ [99]
83 ـ فَحَسَّ، فَغَاظَتْهُ وَاْسْتَغْلَظَتْ، فَعَضَّ بأُخْرَى، فَلَمْ تَمْتَثِلْ
84 ـ فَأَلْقَى الثِّقَافَ...، وَأَوْصى الطَّرِيدَةَ [100] أَنْ تَسْتَبِدَّ بِهَـا،

---

90 () تسترق: تسرق خلسة مرة بعد مرة.
91 () المقتبل: الذي سوف يستقبله.
92 () الخلة: الصداقة التي تتخلل النفس.
93 () اللحاء: قشر العود من الشجر. الخضل: الناعم الرطب الندي.
94 () البذاذة: رثاثة الهيئة وسوء الحال.
95 () لهيف: شديد التلهف والأسى مخافة أن تتلف وقد أشرف على صنعها.
96 () تمحص: سقط عنها فخلصت منه واشتدت. أملودها: قوامها اللدن الناعم.
97 ()النشوز: العصيان وترك الطاعة.
98 () الثقاف: حديدة في طرفها خرق يتسع للقوس، ليقوم عوجها، الممتثل: المحتذي بالأمر الذي يؤمر به.
99 () انجفل: ارتاع فارتد مسرعاً.
100 () الطريدة: قصبة مجوفة بقدر ما يلزم القوس، فيها سفن خشن، والسفن

لاَ تَكِلْ
85 ـ وَأَلْقَمَهَا قَدَّها، فَانْبَرَتْ تُخَاشِنُها بغَلِيظٍ مَحِلْ [101]
86 ـ يُجَرِّدُهَا مِنْ ثِيَابِ العِنَادِ، وَمِنْ دِرْعِها الصَّعْبِ، حَتَّى تَذِلْ
87 ـ فَلَمَّا تَعَرَّتْ لَهُ جُرَّةً وَمَمْشُوقَةَ القدِّ رَيَّا [102]، جَفَلْ
88 ـ وَسَبَّحَ لَمَّا اسْتَهَلَّتْ لَهُ، وَلاَنَ لَهُ ضِغْنُهَا [103]... وَابْتَهَلْ
ـ وذَاَقَ..، فَأَعْطَتْهُ مِنَ اللِّينِ جَانباً *** كَفَى ـ وَلَهَـا أَنْ يُغْـرِقَ السَّهْمَ حَاجِزُ
ـ إِذَا أَنْبَضَ الرَّامُونَ عَنْهَـا، تَرَنَّمَـتْ *** تَرَنُّـمَ ثَكْلَـى أَوْجَعَتْهَـا اَلجنَائـزُ
ـ هَتُـوفٌ..، إِذَا ماخَـالطَ الظَّبْـيَ سَـهْمُهَا! *** وَإِنْ رِيـعَ مِنْهَـا أَسْلَمَتْه النَّوَاقِز
89 ـ أَطَاعَتْهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ لَوَّعَتْهُ بَالوجْدِ عَامَيْنِ حَتَّى نَحلْ
90 ـ يُزَلْزِلُهُ أَمَلٌ يَسْتَفِزُّ فِي قَيْدِ يُؤْسٍ يُميتُ الأَمَلْ
91 ـ فَلَمَّا أَذَاقَتْهُ، إِذْ ذَاقَهَا، هَوَى أَضَمَرَتْهُ لَهُ لَمْ يَزَلْ
92 ـ تَبَّينَ إِذْ رَامَهَا، حُرَّةً حَصَاناً [104]، تَعِفُّ فَلاَ تُبْتَذلْ
93 ـ تَلِينُ لأِنْبلِ عُشَّاقِهَا، وَتَأْبَى عَلَيْهِ إِذَا مَا جَهلْ [105]
94 ـ فَأَغْضى حَيَاءً..، وَأَفْضَى بِهَا إِلَى كَهْفِهِ خَاطِفًا، قدْ عَجِلْ
95 ـ فَأَهْدَى لَهَا حِلْيةً صَاغَهَا بِكَفَّيْهِ، وَهْوَ الرَّفِيقُ العَمِلْ [106]
96 ـ تَخَيَّرَهَا مِنْ حَشَا أَذْؤبٍ [107]، رَآهَا لَدى أُمِّها تَسْتظِلْ
97 ـ أَعَدَّ لَهَا وَتَراً كَالشُّعاعِ حُرَّا..، عَلَى أَرْبَعٍ [108] قَدْ فُتِلْ
98 ـ فَلَمَّـا تَحَلـتْ بِـهِ، مَسَّـهَا فَحَنَّـتْ [109] حَنِيـنَ المَشُـوقِ المُضِلْ
99 ـ فَكَفَّلَهَا [110] مِنْ بَنِي أُمِّها صَغِيراً، تَرَدى بِرِيشٍ كَمَلْ
100 ـ لَهُ صَلعَةٌ كَبَصِيصِ اللِّهِيبِ مِنْ جَمْرةٍ حَيَّةٍ تَشْتَعِلْ

(بفتحتين) هو ما يسمى (السنفرة).

101 () محل: شديد المكر والقوة.

102 () ريا: ناعمة يبرق فيها ماء الصفاء.

103 () ضغنها: عسرها والتواؤها وصعوبة انقيادها.

104 () الحصان: الحرة الممتنعة التي تعف عن الريبة.

105 () جهل: استزله الشيطان واستخفه.

106 () العمل: الذي يحسن العمل والحركة فيما يعمل.

107 () أذؤب: (جمع ذئب).

108 () على أربع: أي على أربع طاقات. وهو أكرم للوتر وأقوى.

109 () حنت: رجعت صوتها ترجيع المشتاق أو الباكي. المضل: الذي قد ضل عنه أحبابه أو فارقوه، فهو ينشدهم.

110 () كفلها: جعلها تكفله وتضمه إليها كالأم. الصغير من بني أمها: أخوها السهم.

101 ـ فَضَمَّتْ عَلَيْه الَحشَا رَحْمَةً وَكَادَتْ تُكَلِّمُهُ.. لَوْ عَقَلْ!
102 ـ فَجُنَّ جُنُونُ المُحبِّ الغَيُـورِ..! فَـأَنْبَضَ [111] عَنْهـا أَبِـيٌّ بَطَلْ!
103 ـ أَرَنَّتْ [112] تُبَكِّي أَخَاهَا الصَّغِيرَ: وَيْحِي!! أَخِي!! وَيْلَهُ!! أَيْنَ ضَلّْ
104 ـ فَظَلَّ يُفَجِّعُها [113] : أَنْ تَرى جَنَائِزَ إِخْوَتِها... وَآ ثَكَلْ!
105 ـ فأَعْرَضَ ظَبْيٌ [114] فَنَادَى بِهِ أَخُوهَا.، وَنَادَتْهُ: هَـا! قَـدْ قُتِل
106 ـ وَقَفَّاهُ [115] ظَبْـيٌ فَصَـاحَتْ بِـهِ..، فَخَـارَتْ قَـوَائِمُهُ.. ، فَاضْمَحَلّْ
107 ـ فَآبَا.. يَسَائُلهَا: هَلْ رَضِيتِ بثُكلِ الأَحَبَّةِ؟ قَالَتْ : أَجَلْ
108 ـ فَبَاتَا بلَيْلِة مَعْشُوقَةٍ تُباذِلُ عَاشَقَها مَا سَأَلْ
ـ كَـأَنَّ عَلَيْهَـا زَعْفَرَانَاً تَميرُهُ *** خَـوَازِنُ عَطَّـارٍ يَمَـان كَوَانِزُ
ـ إِذَا سَقَط الأَنْدَاءُ، صِـينَتْ وأُشْـعِرتْ *** حَبِيـرًا، وَلَـمْ تُـدْرَجْ عَلَيهَا المَعَاوِزُ
109 ـ يُغَازِلُهَا، وَهْيَ مُصْفَرَّةٌ، عَلَيْها بَقِيَّةُ حُزْنٍ رَحَلْ
110 ـ تُنَاسِـمُهُ [116] عِطْرَهـا، وَالشَّـذَا شَـذَا زَعْفَـرانٍ عَتِيـقِ الأَجَلْ
111 ـ تَوَارَتْنَهُ الغِيدُ يَكْنِزْنَهُ لِزِينَتِهِنَّ، خَفِيَّ المَحَلّْ
112 ـ فَسَاهَرهَا [117] يَزْدَهِيه الجَمَالُ وَيُسكِرُهُ العَرْفُ، حَتَّـى ذَهَلْ
113 ـ فَنَادَتْهُ : وَيْحَكَ! أَهَلَكْتَنِي! أَغِثْنِي... هَذَا النَّدَى قَدْ نَزَلْ
114 ـ فَطَـارَ إِلَـى عَيْبَـة [118] ضُـمِّنَتْ حَرِيـرًا مُوَشَّـى نَقِـيَّ الخَمَلْ
115 ـ كَسَاهَا حَفِيّ بهَا عَاشِقٌ! إِذَا أَفْرَطَ الحُبُّ يَوْمًا قَتَلْ
116 ـ فَأَلْبَسَها الدِّفْءَ ضِـنًّا بِهـا... وَبَـاتَ قَرِيـرًا [119].. عَلَيْـه

---

111 () أنبض القوس: جذب وترها ثم أرسله: فيسمع له صوت كالبكاء.
112 () أرنت: صاحت صياح النائحة الحزينة.
113 () يفجعها: ينزل بها الفجيعة بعد الفجيعة.
114 ()أعرض الظبي: أمكن الرامي من عرضه، أي جانبه.
115 () قفاه: تبعه وجاء بعده، اضمحل: سقط وانقشع.
116 () تناسمه: تهدي إليه نسيمها، والشذا: الرائحة الطيبة.
117 () ساهرها: بات معها ساهراً. يزدهيه: يستخف لبه العرف: الرائحة الطيبة يعرف بها صاحبها.
118 () العيبة: وعاء من أدم تحفظ فيه الثياب. الخمل: هدب القطيفة وزئبرها.
119 () قرير: قد أخذته قرة البرد، وهو أشده، والسمل: الثوب الخلق الدريس

سَمَلْ!!
ـ فَوَافى بِهَا أَهْـلَ المَوَاسِـم، فـأْنْبَرَى *** لَهَـا بَيِّـع يُغْلـي بِهَـا السَّوْم رَائِزُ
ـ فَقَـالَ لَـهُ : هَـلْ تَشْـتَرِيهَا؟! فَإِنَّهَـا *** تَبُـاَعُ بِمَـا بِيـعَ التِّلِادُ الحَرَائِزُ
ـ فَقَــالَ : إِزَارٌ شَـرْعَبِيٌّ، وَأَرْبَـعٌ *** مـنَ السَّـيَرَاءِ، أَوْ أَوَاقٍ نَوَاجِزُ
ـ ثَمَانٍ مِنَ الكُورِيِّ، حُمْرٌ، كَأَنَّها *** مِنَ الجَمْرِ مَا أَذْكَى عَلَى النَّارِ خَابِزُ
ـ وَبُرْدَانِ مِن خَـالٍ، وَتِسْعونَ دِرْهَمًا، *** عَلَى ذاكَ مَقْــروظٌ مِنَ الجِـلْدِ مَاعِزُ
117 ـ تَمَتَّع دَهْرًا بأَيَّامِهَا وَلَيْلاَتِهَا نَاعِماً قِدْ ثَمِلْ [120]
118 ـ يَرَاهَا، عَلَى بُؤْسِهِ، جَنَّة تَدَلَّتْ بِأَثْمَارِهَا، فَاسْتَطَلّ
119 ـ تُصَاحِبُهُ فِي هَجِير القِفَارِ، وَفِي ظُلَم اللَّيْلِ أَنَّى نَزَلْ
120 ـ فَيَحْرُسُهَا وَهْو فِي أَمْنَةٍ [121]، وَتَحْرُسُـهُ فِـي غَوَاشِـي الوَجَلْ
121 ـ يَجُـوبُ الوِهـادَ [122]، وَيَعَلُـو النِّجـادَ، وَيَـأْوِي الكَهُـوفَ، وَيَرْقَى القُلَلْ
122 ـ ويُفْضي إلَى مُسْـتَقَّر الحُتُـوفِ: فِـي دَارِ نِمْـرِ، وَذِئْـبٍ، وَصِلّ [123]
123 ـ مَنَـازِلَ عَـادٍ، وَأَشْـقى ثَمُـودَ، وَحِمْيَـرَ، وَالبَائِـدَاتِ [124] الأُوَلْ
124 ـ مَجَاهِلَ مَا إنْ بِهَـا مِـنْ أَنِيـسٍ، وَلاَ رَسْـم دَارٍ يُـرَى أَوْ طَلَلْ
125 ـ يُعَلِّمُهَا كَيْفَ كَانَ الزَّمَانُ، وَمَجْدُ القَدِيم، وَكَيْف انْتَقَلْ!
126 ـ وَكَيْفَ تَسَاقَى بِهَا الأَوَّلُونَ رَحِيقَ الحَيَاةِ وَخَمْرَ الأَمَلْ!
127 ـ وَأَيْنَ الأَخِلاَّء كَانُوا بِها يَجُّرونَ ذَيْلَ الهَوَى وَالغَزَلْ!
128 ـ وَملْكٌ تَعَالَى، وَطَاغٍ عَتَا، وَحُر أَبَى وَحَرِيصٌ غَفَلْ!

البالي.
120 () ثمل: أخذ فيه الشراب والسكر.
121 () أمنة: أمان من الخوف. غواشي الوجل: ما يغشاه من المخاوف.
122 () الوهاد: الأرض المنخفضة. النجاد: الأرض المرتفعة. القلـل (جمـع قلـة): وهو رأس الجبل.
123 () الصل: حية تقتل إذا نهشت من ساعتها، لا تنفع فيها الرقية.
124 () البائدات الأول: طسم وجديس وجرهم، وما باد من العرب العاربة.

129 ـ فَدَمْدَمَ [125] بَيْنَهُمُ صَارِخٌ: بَقَاء قَلِيلٌ!! وَدُنْيَا دُوَلْ!!
130 ـ فَعَرْشٌ يَخِـرُّ، وَسَـاعٍ يَقَـرُّ [126]، وَسَـاقٍ يَمِيـلُ.. وَنَجْـمٌ أَفَلْ!!
131 ـ زَهِدْتُ إليْك وَفَارَقْتُهُمْ أَخِلاَّءَ عَهْدِ الصِّبَا وَالجَذَلْ
132 ـ فَنِعْـمَ الصَّـدِيقُ! وَنِعْـمَ الخَلِيـلُ وَنِعْـمَ الأَنِيـسُ.. وَنَعْـمَ البَدَلْ!!
133 ـ صَدِيقٌ [127] صَدَاقَتُها حُرَّةٌ، وَخِل خِلاَلَتُهَا لاَ تُمَلّ
134 ـ وَغَابَا مَعًا عَنْ عُيُونِ الخُطُوبِ، وَعَنْ كُـلِّ وَاشٍ وَشـى أَوْ عَذَلْ
135 ـ وَعَـنْ فِتْنَـةٍ تُـذْهِلُ العَاشِـقَيْن، تُضِـيءُ الـدُّجَى لِـدَبِيبِ المَلَلْ
136 ـ وَطَالَ الزَّمَانُ، فَحَنَّتْ بِهِ إلى الحَجِّ دَاعِيَةٌ تَسْتَهلّ [128]
137 ـ آذَانٌ مِـنَ اللّـهِ! كَيْـفَ القَـرَارُ؟ وَأَيْـنَ الفِـرَارُ؟ وَكَيْـفَ المَهَلْ [129]
138 ـ تُرَدِّدُهُ البَيدُ بَيْنَ الفِجَاجِ، وَفَوْقَ الجِبَالِ، وَعِنْدَ السُّبُلْ
139 ـ أَصَاخَ لَهُ، وَأَصَاخَتْ لَهُ، وَلَبَّتْهُ فَامْتَثَلتْ، وَامْتَثَلْ
140 ـ وَطَارَا معًا كَظِمَاءِ القَطَا [130]، إلَى مَوْرِدٍ زَاخِرٍ مُحْتَفِلْ
141 ـ فَوَافى المَوَاسِم. فَاسْتَعْجَلتْ تُسَائِلُهُ: مَنْ أَرَى؟.. أَيْن ضَلْ؟
142 ـ أَسَرَّ إلَيْها: أولاَكِ الحَجِيجُ!! فَلَبَّى لِرَبٍ تَعَالَى وَجَلْ
143 ـ وَنَادَتْهُ جَافِلَةً [131]: مَا تَرَى! أَجَذْوَة نَارٍ أَرَى أَمْ مُقَلْ؟
144 ـ فَمَا كَادَ... حَتَّى رَأَى كَاسِرًا [132] تَقَاذَفُ مِـن شَـعَفَاتِ الجَبّلْ
145 ـ يُدَانِي الخُطَـا، وَهْـوَ نَـارٌ تَـؤُجُّ [133]، وَيُبْـدِي أَنَـاةً تَكْـفُّ العَجَلْ

---

125 () الدمدمة: صوت مزعج يرجف على الناس ويطبق.
126 () ساع يقر: بينا هو يسعى هنا وهناك، إذ ثبت مكانه. أفل: غاب وهوى.
127 () الصديق، والخل: يقال للمذكر والمؤنث جميعا. والخلالة: الصداقة التي تتخلل النفوس.
128 () تستهل: ترفع الصوت إهلالا بالحج، وتلبية لله سبحانه.
129 () المهل: الاستنظار والتؤدة.
130 () ظماء القطا: القطا الوارد الماء. محتفل: فيه محافل الناس ومجامعهم
131 () جافلة: مذعورة تكاد ترتد. جذوة النار: الجمرة الملتهبة.
132 () الكاسر: الذي ضم جناحين وانقض: تقاذف: هوى على عجل. شعفات الجبل: رؤوسه وقممه.
133 () تؤج: تتلهب، ويسمع لتلهبها صوت، وهو أجيج النار.

146 ـ وَمَدَّ يَدا لا تَرَاها العُيُونُ، أَخْفَى إذَا مَا سَرَتْ مِنْ أجَلْ
147 ـ وَنَظْرَةَ عَيْنٍ لَهَا رَوْعَةٌ، تُخَالُ صَلِيلَ سُيُوفٍ تُسَلّْ
148 ـ فَلَمَّا أَهَلَّ وَأَلْقَى السَّلاَمَ، وافـتر عَـنْ بَسْـمِة المخْتَتِـلْ (134)

149 ـ وَقَالَ : أذِنْتَ؟! وَيُمنَى يَدَيْهِ تَمَسُّ أَنَامِلُهَا مَا سَأَلْ
150 ـ رَأَى بَائسا مَالهُ حُرْمةٌ تَكُفُّ أَذىً عنه.. يُؤْسٌ وذُلْ
151 ـ وَقَالَ : فَدَيْتُكَ! مَاذَا حَمَلـتَ؟ وَمَـاذَا تَنَكَّبْـتَ (135) يـاَذَا الرِجُلْ؟!
152 ـ وَأَفْـدِي الَّـذِي قَـدْ بَـرَى عُودَهَـا، وَقَـوَّمَ مُنْآدَهـا (136)، وَاعْتَمَلْ!!
153 ـ فَهَزَّتْهُ مَا كِرَةٌ، (137)لم يَزَلْ يَتِيهُ بِهَا السَّمْعُ، حَتَّى غَفَلْ
154 ـ فَأَسْلمَهَا لِشَـدِيد المِحَـالِ (138)، ذَلِيـقِ اللِّسَـانِ، خَفِـيِّ الحِيَلْ
155 ـ فَلَمَّا تَرَامَتْ عَلَى رَاحَتَيْه، وَرَازَ (139) مَعَاطِفَهَا وَالثِّقَلْ
156 ـ دَعَتْ: يَـاخَلِيليَ! مَـاذَا فَعَلْـتَ؟! أَأَسْـلَمْتَني؟! لِسَـوَاكَ الهَبَلْ (140)!!
157 ـ فَخَالَسَـهَا (141) نَظْـرَةً خَفَّضَـتْ غَـوَارِبَ جَـأْشٍ غَلاَ بِالوَهَلْ
158 ـ وَقَالَ : لَكَ الخَيْرُ! فَدَّيْتَنِي بنَفْسِكَ!!
ـ يَارِي قِسِيّ!
ـ أَجَلْ!!
159 ـ فَبِعْنِي إذَنْ!!
ـ هِيَ أغْـلَى عَلَّي، إذَا رُمْتَهَا، مِنْ تِـلاَدٍ (142) جَـلَلْ!
160 ـ فَقَالَ : نَعَمْ! لَكَ عِنْدِي الرِّضى، وَفَوْقَ الرِّضَى!
ـ [وَيْلهُ مَنْ مُضِلْ!]

---

134 () المختتل: المخادع الذي يطلب غفلة الصيد.
135 () تنكب القوس: وضعها على منكبه.
136 () المنآد: المعوج. اعتمل: جاهد في عملها.
137 () ماكرة: كلمة مكر.
138 () المحال: الكيد والمكـر الشـديد الخفـي. ذليـق اللسـان: فصـيح اللسـان طليقه.
139 () راز الشيء: وضعه في كفه ليعـرف ثقلـه وامتحنـه، ومعـاطف القـوس: مقدار انعطافها إذا حناها وشد وترها.
140 () الهبل: ثكل الولد.
141 () خالسها: نظر إليها خلسـة. خفضـت: سـكنت. الغـوارب: أعـالي المـوج. الجأش: رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع. الوهل: الفزع الملحق بالجنون.
142 () التلاد: المال الموروث الذي ولد عندك. الجلل: الجليل العظيم القدر.

161 ـ فَهَلْ تَشْتَرِيهَا [143] ؟!..
ـ نَعَمْ أَشْتَرِي!
ـ لَكَ الوَيْلُ مِثْلُكِ يَوْمًا بَخِلْ!
162 ـ فَدَيْتُكَ!! أَعْطَيْتُ مَا تَشْتَهِيهِ!.. مَابِيَ فَقْرٌ ولا بِي بَخَـلْ [144]!
163 ـ فَنَادَتْهُ، وَيْحَكَ! هَذَا الَخِبيثُ! خُذْنِي إَلَيْكَ، وَدَعْ مَا بَذَلْ
164 ـ فَبَاسَمَها [145] نَظْرَةً..، ثُمَّ رَدَّ إلَى الشَّيْخِ نَظْرَةَ سُـخْرٍ مُطِلّْ:
165 ـ بكَمْ تَشْتَرِيها؟!..
فَصَاحَتْ بِهِ : حـَذَارِ! حـَذَارِ! دَهَـاكَ الخَبَلْ!!
166 ـ لَـهُ رَاحَـةٌ نَضَـحَتْ [146] مَكْرهَـاَ عَلَـي، فَـدَع عَنْـكَ! لاَ تُغْتَفَلْ
167 ـ فَقَـالَ : إزَارٌ مِـنْ الشَّـرْعَبِيِّ [147] وَأَرْبَـعُ مِـنْ سِـيَرَاءِ الحُلَلْ
168 ـ بُرُودٌ تَضِنُّ بِهِنَّ التِّجَارُ [148] إذَا رَامَهُنَّ مَلِيكٌ أَجَلّْ
169 ـ وَمِنْ أَرْضِ قَيْصَرَ : حُمْـرٌ ثَمَـانٍ جَلاَهَـا [149] الهِرَقْلِـيُّ، مِثْلُ الشُّعَلْ
170 ـ ثَمَان تُضيءُ عَليكَ الدُّجَى! إذا عَمِيَ النَّجْمُ، نعمَ البَدلْ
171 ـ وَبُرْدَانِ مـن نَسْـجِ خَـالٍ [150]، أَشَـف وَأَنْعَـمُ مِـنْ خَـدِّ عَذْرَاءَ..، بَلْ
172 ـ إذَا بُسِطَاَ تْحَـتَ شَـمْسِ النَهـارِ، فَالشَّـمْسُ تَحْتَهُمَـا..، لَيْسَ ظِلّْ
173 ـ وَتِسْـعُون مِثْـلُ عُيُـونِ الجَـرَادِ..، بَرَّاقَـةٌ كَغَـدِيرِ [151] الوَشَلْ
174 ـ كَمِرْآةِ حَسْنَاءَ مَفْتُونِة، كَرَأْسِ سِنَانٍ حَدِيثٍ صُقِلْ

---

143 () تشتريها: تبيعها.
144 () البخل (بفتحتين)، هو البخل.
145 () باسمها: نظر إليها نظرة سخر مبتسم.
146 () نضحت: فضت مكرها كالعرق، دع عنك: احذر، تغتفل: تؤخذ من غفلتك.
147 () الشرعبي: ثياب جياد سابغة. السيراء: برد فيه سيور يخالطها الحرير.
148 () التجار (جمع تاجر).
149 () جلاها: صقلها. الهرقلي: الرومي، نسبة إلى هرقل الملك.
150 () خال: مكان تضع فيه البرود الجيدة.
151 () الغدير: مكان يغادر السيل فيه بعض الماء. والوشل: الماء يتحلب من جبل أو صخرة، يقطر قليلا قليلا، لا يتصل قطره.

175 ـ أَجَلْ..!! وَأَدِيمٌ [152] كَمِثْلِ الحَرِيرِ، يُطْوَى وَيُرْسَلُ مثْلَ الخَصَلْ
176 ـ وَحَوْلَهُمَا زَفَرَاتُ الزِّحَامِ، وَأَذْنٌ تَمِيلُ، وَرَأْسٌ يُطِلّْ
177 ـ وَغَمْغَمَةٌ [153]، وَحَدِيثٌ خَفِيٌ وَنَغْيَةُ زَارٍ، وآتٍ سَأَلْ
178 ـ وَعَاشِقةٌ في إِسَارِ [154] السوَامِ!! وَعَاشقُها في الشَرَاكِ اُحْتُبِلْ
179 ـ تُنَادِيه مَلْهُوفَة تَسْتَغِيثُ، ضَائَعَةُ الصَّوْتِ.. عَنْهَا شُغِلْ
ـ فَظَلَّ يُنَاجِي نَفْسَهُ وَأَمِيرِهَا *** أيَأتِي الَّذِي يُعْطى بِهَا أَمْ يُجَاوِزُ
ـ فَقَالوا لهُ : بَايِعْ أَخَاكَ.. وَلا يَكُنْ *** لَكَ اليَوْمَ عَنْ رِبْحٍ مِنَ البَيْعِ لاَهِزُ
180 ـ [أَعُوذُ بِرَبِّي وَرَبّ السَمَاء وَالأرْض!.. مَاذَا يَقُولُ الرَّجُلْ؟!
181 ـ أَجُنَّ؟! نَعَمْ.. لاَ!.. أَرَى سُورةً [155] مِنْ العَقْل، لاَخَلجَاتِ الخَبَلْ!
182 ـ وَعَيْنَيْ صَفَاءِ كَمَاء القلاَتَ [156]، وَعِرْنِينَ أَنْفٍ سَمَا وَاعتَدَلْ
183 ـ وَجَبْهَةَ زَاك [157]، نَمَاهُ النَّعِيمُ في سُؤْدُدٍ وَسَرَاءٍ نَبُلْ
184 ـ أَيُعْطِي بِهَا المَالَ؟! هَذَا الخَبَالُ! قَوْس وَمَالٌ كَهَذَا؟ ثُكِلْ!!
185 ـ وَيَارَبِّ! يَارَبِّ! مَاذْا أقَولُ؟.. أقَولُ نَعَمْ!.لا فَهَذَا خَطَلْ
186 ـ أَبِيعُ!! وَكَيْفَ!.. لَقَدْ كَادَنِي [158] بِعَقْلِي هَذَا الخَبيثُ

---

152 () الأديم: الجلد المدبوغ اللين. الخصل (جمع خصلة): وهي لفيفة من الشعر المجتمع.
153 () غمغمة: الكلام الذي لا يتبينه السامع، والنغية: كلمة ذات نغمة. الزاري: العائب المظهر للاحتقار.
154 () الإسار: الأسر. والسوام: المساومة في البيع. والشراك (جمع شرك): وهو حبالة الصائد يرتبك فيها الصيد. احتبل: وقع في حبالة الصائد.
155 () السورة المنزلة الرفيعة المشرفة الظاهرة. خلجات الخبل: مايتجاذب المخبول من الاضطراب، فتتَفكك أوصاله، ويتمايل يمنة ويسرة.
156 () القلات (جمع قلت، بسكون اللام): نقرة في الجبل يقطر فيها ماء واشل من سقف أو كهف، وهو أصفى ماء. والعرنين: الأنف تحت مجتمع الحاجبين، حيث يكون الشمم، وهو دليل على كرم الأصل.
157 () الزاكي: النابت في نعمة وخصب وكرم، والسراء: المروءة والسخاء والشرف.
158 () كاده بعقله: احتال عليه وغلب عقله. المحل: الشديد المكر والدهاء.

الَمِحْل
187 ـ أُفَارِقُها! وَيْكَ [159]!! هَذَا السَّفَاهُ! قَوْسِيَ! كَلاَ! خَدَيني وَخِلٌّ!!
188 ـ أَجَلْ!! بَلْ هُوَ البؤْسُ بَادٍ عَليَّ! فأَغْراهُ بي! وَيْحَهُ! مَـا أَضَلٌّ!!
189 ـ يُسَاوِمُنِي المَالَ عَنهَا؟! نَعَمْ!.. إذَا لَبِـسَ البُـؤْسُ حُـرًّا أَذَلّ
190 ـ إذَا مَا مَشَى تَزْدَرِيه العُيُونُ، وَإنْ قَالَ رُدّ كَأَنْ لَمْ يَقُلْ
191 ـ نَعَـمْ! إنَّـهُ البُـؤْسُ!! أَيْـنَ المَفَـرُّ مِـنْ بَشَـرٍ كَـذِئَاب الجَبَلْ؟!
192 ـ ثَعَالبُ نُكْرٍ [160] تُجِيدُ النِّفَاقَ حَيْثُ تَرَى فُرْصةً تُهْتَبَلْ
193 ـ كلاَبٌ مُعَوَّدَةٌ لِلهَوَانِ تُبَصْبِصُ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ بَذلْ
194 ـ فَـوَيْحِي مِـنَ البُـؤْسِ!.. وَيْـلٌ لَهُـمْ!!. أَرى المَـالَ نُبْلاً يُعَلي السِّفَلْ [161]
195 ـ فَخُذْ مَا أَتَيتَ بِهِ..!! إنَّه مَلِيك يُخَافُ، وَرَبٌ يُجَلّ
196 ـ وَسُبْحَانَ رَبِّي! يَدِي! مَا يَدِي؟! بَرِيْتُ القِسِـيَّ بهـا لـم أَمَلْ!
197 ـ حَبَاني [162] به فاطِرُ النَيِرّات وَبَـاري النَّبـاتِ وَمُرْسِـي الجَبَلْ!
198 ـ وَأَوْدَعَهَا سِرَّهَا عَالِم خَبِيرٌ بَمكْنُونِها لَمْ يَزَلْ!
919 ـ وَفِي المَالِ عَوْنٌ عَلى مِثْلِها! وَفِي البُؤْسِ هُـونٌ [163]، وَذُلٌّ، وَقُلّ!]
200 ـ تَنَادَوْا بِهِ : أنْتَ؟! مَاذَا دَهَاكَ؟! مَالكَ يَا شَيْخُ؟! قُلْ يَـا رَجُلْ!
201 ـ وَآتٍ يُصِيحُ، وَكَفٌّ تُشِيرُ، وَصَوْتٌ أَجَـشٌّ [164]، وَصَـوْتٌ يَصِلّ!

---

159 () ويك: مثل، ويلك، تعجب وتهديد، السفاه: السفه والطيش. الخدين: الصديق المصاحب. والخل: الصديق المتداخل المودة.
160 () النكر: الدهاء المنكر الخبيث: اهتبل الفرصة: اغتنمها وافترصها على غفلة.
161 () السفل (جمع سفلة): وهُم أراذل الناس وسقاطهم.
162 () حباه: أعطاه فأكرمه. فاطر النيرات: المبتدئ خلق الكواكب المنيرة. وباري النبات: خالقه.
163 () الهون: الهوان والخزي. والقل: القلة والنقص.
164 () أجش: فيه جشة أي: غلظ وبحة. صل الصوت: إذا خالطته حدة كأنها صوت حديد على الصفا. اختبل: أخذه الخبل، كالمجنون المضطرب.

202 ـ وَطَنَّتْ مَسَامِعُهُ طَنَّةً.، وَزَاغَتْ نَوَاظِرُهُ وَاخْتُبِلْ
203 ـ .. وَأَفْضَى إِلَيْهِ كَهَمْسِ المَرِيضِ أَشْفَى [165] عَلَى المَوْتِ مَا يَسْتَقِلّ..
204 ـ تُنَادِيه: وَيْحَكَ! وَيحِي!! هَلَكْتُ!! أَتَوْكَ بَقَاصِمَةٍ! وَآثَكَلْ!
205 ـ تَلَفتَ يَصْغِي..، وَمِثْلُ اللَّهيبِ ضَوْضَاءُ وَعْوَعَةٍ [166] فِي زَجَلْ
206 ـ فَهَذَا يُؤُجُّ [167]..، وَهَذَا يَعَجُّ..، وَهَذَا يَخُورُ..، وَهَذَا صَهَلْ!
207 ـ وَدَان يُسِرُّ..، وَدَاعٍ يَحُثُّ..، وَكَفٌّ تُرَبِّتُ: بِعْ يَا رَجُلْ!
208 ـ لَقَدْ بَاعَ! بْع! بَاعَ! لاَ لَمْ يَبِعْ! غِنَى المالِ! وَيْحَكَ! بعْ يَا رَجْل!
209 ـ [وَحَشْرجَةُ [168] الموْتِ: خُذْنِي.. إِلِيكَ!!
ـ لَبَّيْكِ!! لَبَّيْكِ!]
بِعْ يَا رَجُلْ!!
210 ـ [أَغِثْنِي!. أَجَلْ!]
بَاعَ! مَاذَا؟! أَبَاعَ؟! نَعْم بَاعَ قَدْ بَاعَ! حَقّاً فَعَلْ؟!
211 ـ [أَغِثْنِي! أَغِثْنِي! نَعَمْ!]
قَدْ رَبِحْتَ!!.. بُورِكَ مَالُكَ!
أَيْنَ الرَّجُلْ؟!
112 ـ مَضَى!.. أَيْنَ!.. لاَ، لَسْتُ أَدْرِي!.. مَتَى؟
لَقَدْ بِعْتَ ؟!.. كَلاَّ وَكَلاّ.. أَجَلْ!
213 ـ لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بِعْتَ!
ـ كَلاّ! كَذَبْتَ!
لَقَدْ بِعْتَ! قَدْ بَاعَ!
ـ وَيْحِي! أَجَلْ
214 ـ لَقَدْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا.. جُزِيتُمْ بَخْيرِ جَزَاء، أَجَلْ!!..
215 ـ أَجَلْ بِعْتُهَا.. بِعْتُهَا. بِعْتُهَا!! أَجَلْ بِعْتُهَا!! لاَ، أَجَلْ لاَ، أَجَلْ

---

165 () أشفى: أشرف. يستقل: ينهض.
166 () وعوعة: صوت مختلط كوعوعة الكلاب، والزجل: الجلبة كأصوات اللاعبين.
167 () يؤج:يصوت بكلام مرتفع سريع. ويعج: يصيح صياحاً عالياً كالهدير. ويخور: يصيح بصوت غليظ كخوار الثور. وصهل: أخرج صوتاً مبحوحاً كصهيل الخيل.
168 () الحشرجة: غرغرة الميت، وتردد نفسه.

فَلَمَّاَ شَرَاهَا فَاضَتِ العَيْنُ عَبْرَةً،
وَفِي الصَّدرِ حَزَّازٌ مِنَ الوَجْدِ حَامِزُ
216 ـ [أَجَلْ.. لاَ أَجَلْ بِعْتُهَا! بِعْتُهَـا!. أَجَـلْ بعتهـا! بِعْتُهَـا!.. لاَ أَجَلْ
217 ـ وفَاضَـتِ دُمُـوعٌ كَمِثْـلِ الحَمِيـم [169]، لَذَّاعَـةٌ، نَارُهـا تَسْتَهِلّ
118 ـ بُكَاء مِنَ الجَمْرِ جَمْرِ القُلُوبِ، أَرْسَـلهَا لاَعِـجٌ [170] مِـنْ خَبَلْ
219 ـ وَغَـامَتْ بِعَيْنَيْـهَ، وَاْسْـتَنْزَفَتْ دَمَ القَلْـبِ يَهْطِـلُ فِيمـا هَطَل
220 ـ وَخَانِقَةٌ ذَبَحَتْ صَوْتَهُ، وَهيضَ [171] اللِّسَانُ لَهَا وَاعْتقِلْ
221 ـ وَأَغْضَى عَلى ذِلّة مُطْرِقًا، عَلَيْه مِنْ الهَمِّ مِثْلُ الجَبلْ
222 ـ أَقَامَ..، وَمَـا إِنْ بِـهِ مِـنْ حَـرَاكٍ، تَخَـاذلُ [172] أَعَضَـاؤُهُ كَالأَشَلّ
223 ـ وَفِي أُذَنْيهِ ضَجِيجُ الزِّحَامِ، وَ«بـعْ بَـاعَ، بـعْ بَـاعَ، بـعْ يَـا رَجُلْ»!
224 ـ وَأَخْلَدَ فِي حَيْـثُ طَـارَ السـوَامُ [173] بِمُهْجَتِـهِ، كَـأرُومٍ مَثَلْ
225 ـ كَأَنْ صَخْرةٌ نَبَتَتْ، حَيْثُ قَامَ، تِمثَال حُـزْنٍ صَـلُودٍ [174] عُتُلْ
226 ـ وَمِـنْ حَـوْلِهِ النَّـاسُ مِثْـلُ الـدَّبَى [175] عِجَـالاً تَنَـزى، دَهَاهُنَّ طلْ
227 ـ فَمِنْ قَائِلٍ : فَازَ! رَدَّت عَلَيْهِ قَائِلَةٌ : لَيْتَهُ مَا فَعَلْ!
228 ـ وَمِنْ هَامِسٍ: وَيْحَهُ مَادَهَاهُ! وَمِـنْ مُنْكِـرٍ: كَيْـفَ يَبْكِـي الرَّجُلْ!
229 ـ وَمِنْ ضَاحِكٍ كَرْكَرَتْ [176] ضَحْكَةٌ لَهُ مِنْ مَزُوحٍ خَبِيـثٍ

---

169 () الحميم: الماء الحار. تستهل: تنصب.
170 () لاعج: محرق. الخبل: اضطراب الجنون.
171 () هيص: انكسر وتدلى. واعتقل: حبس ومنع الكلام.
172 () تخاذل: تتخاذل، يخذل بعضها بعضاً.
173 () السوام: المساومة في البيع، والأروم: أصل الشجرة إذا ماتت وسقطت أغصانها. مثل: انتصب.
174 () صلود: صلب أملس. عتل: غليظ ثقيل ثابت.
175 () الدبى: الجراد قبل أن يطير، تنـزى: تثـب وتنقـز. دهـاه: غشـيه وأصـابه، والطل: المطر الخفيف.
176 () كركر الضاحك: ردد الضحك.

هَزَلْ
230 ـ ومِنْ سَاخِر قَالَ : يَا آ كِلاً! تَلَّبسَ فِي سَمْتِ [177] مِــنْ قَدْ أَكِلْ!
231 ـ وَمِنْ بَاسِطٍ كَفَهُ كَالمُعَزِّي وَهَيْنمَـةٍ [178] غَمْغَمَـتَ لَـمْ تُقَلْ
232 ـ وَمِنْ مَشْفِقٍ سَـاقَ إِشْفَاقَهُ وَوَلَّى، وَمُلْتَفِتٍ لَمْ يُوَلّ
233 ـ وَسَالَت جُمُوعُهُمُ فِـي الرِّمَـالِ.. وَمَـاتَ الـوَغَى [179].. غَيْرَ حِسّ يَصِلّ
234 ـ وَأَسْـفَرَ [180] وَانْجَابَ دَاجِي السَّوَادِ عَنْ مُخْبتٍ خَاشِـع كَالمُصَلّ
235 ـ وَظَلَّ طَوِيلاً.. لَهُ سَبْتَةٌ [181] وَإِطْرَاقَةٌ، وَأَسىً يَنْهَمِلّ
236 ـ أَفَاقَ وَقَيـذَاً [182]، بَطِيـءَ الإِفَاقَـةِ.. يَرْفَـعُ مِـنْ رَأْسِـهِ كَالمُطِلّ
237 ـ وَقَلَّبَ عَيْنِيهِ: ماذَا يَرى؟ وَأَيْنَ الزِّحَامُ؟ وَأَيْنَ الرَّجُلْ!
238 ـ رَأَى الأَرْضَ تَمْشِـي بِهِـم كَالخَيَـال، أَشَـبْاحُهُمْ خُشُـبٌ تَنْتَقِلْ
239 ـ وَهَامٌ [183] مُحَّلقَةٌ رُجَّـفٌ، وأُخْرى بَدَتْ كَنَزِيعِ البَصَلْ
240 ـ وَأَغْرِبةٌ [184]: بَعْضُها جَاثِم يُحَرِّك رَأْسًا، وَبَعْضٌ حَجَلْ
241 ـ وَحَيَّـاتُ وَادٍ، لِشَـمْسِ الضُّـحَى تُلـوّي حَيَازِيمَهـا [185] والقُلَلْ
242 ـ وَأَزْفَلَةٌ [186] مِنْ ضِـبَاع الفَلاَة تَخْمَـعُ مِـنْ حَـوْلِ قتْلَـى هَمَلْ

---

177 () السمت: الهيئة.
178 () هينمة: الكلام الخفي كالدندنة. غمغمت: اختلطت ولم تتبين.
179 () الوغى: الصوت المتداخل كأصوات النحل المجتمع. يصل: يكون له صوت كأصوات أجواف الخيل إذا عطشت.
180 () أسفر: أشرق. انجاب: انكشف. المخبت: الخاشع المتضائل.
181 () سبتة: سكون وإطراق بلا حراك.
182 () الوقيذ: المريض الدنف المشفي على الهلاك.
183 () هام محلقة: روؤس محلوقة. رجف (جمع راجف): ترتجف وتضطرب. نزيع البصل: المنزوع بجذوره.
184 () أغربة (جمع غراب).
185 () الحيازيم (جمع حيزوم): وهو ما اكتنف الحلقوم والقلل: الرؤوس، والحية تفعل ذلك وهي تتشمس.
186 () أزفلة: الجماعة تأتي مسرعة. والضباع: من لئام الحيوان. تخمع: تعرج. همل: مهملة ملقاة.

243 ـ وَهَنَّا وَهَنَّا ضِبَابٌ [187] مَرَقْنٍ مِنْ كُلّ جُحْرٍ لسَيْل حَفَلْ
244 ـ وَثَوْبٌ يَطِيرُ بِلاَ لاَبِسٍ، يَمِيلُ مَعَ الرِّيحِ أَنَّى تَمِلْ
245 ـ تَمَطّى بِهِ البَعْثُ مِنْ نَعْسَةٍ، ومِنْ سِنَة كَفُتُورِ الكَسَلْ
246 ـ وَدَبَّتْ إِلَيْه بَقَايَا الحَياةِ، فَرَفَّعَ أَعْطَافَهُ [188] وَاعْتَدَلْ
247 ـ وَظَلَّ يُنَازِعُ كَبْلَ [189] الذُّهُول وَيَحْتَلِجُ النَّفْسَ مِنْ أَسْرِ غُلْ
248 ـ كَنَاشِطِ [190] ثِقْلٍ طَوِيلِ الرِّشَاءِ مِنْ هُوّة في حَضِيض الجَبَلْ
249 ـ رُوَيْدَا رُوَيْدَا فَثابَتْ لَهُ مُلَجْلَجَةً [191] يَعْتَرِيهَا هَلَلْ
250 ـ وَمِثْلَ الحَمَامَة بَيْنَ الضّلُوعِ قَدْ انْتَفَضَتْ مِنْ غَواشِي بَلَلْ
251 ـ يُقَلِّبُ جِمْجُمَةً، خَالهَا كَجُلمُودِ صَخْرٍ رَكِينٍ [192] حَمَلْ
252 ـ فَلأْيًا بِلأْيٍ [193] وَآبَتْ لَهُ مُبَعْثَرَة مِنْ أُقَاصِي العِلَلْ
253 ـ وَنَفَّسَ عَنْ صَدْرِهِ زَفْرَةً، وَخَامَرَهُ [194] البُرْءُ حَتَّى أَبَلّ
254 ـ أَحَسَّ بكَالجَمْر فِي رَاحَتَيْه: سَعِير تَوَقّد!! مَاذَا احْتَمَل؟
255 ـ وَيَبْسُطُ كَفَيهِ: مَاذَا أَرى جَوَابٌ حَثِيثٌ وَلوْ لَمْ يَسَلْ!!
256 ـ عُيُونٌ تُحَمْلِقُ فِي وَجْهِه، مِنْ الخُبْثِ تَزْهَرُ [195] أَوْ تأتَكِلْ!!
257 ـ [أَجَلْ بِعْتُهَا! بِعْتُهَا بِعْتُهَا!.. بَقَاءٌ قَلِيلٌ وَدُنْيَا دُوَلْ!]
258 ـ وَأَلْقَى الغَنِي لِلثَّرى! وَانَتَحَى [196] وَنفَّض كَفَيْهِ: [حَسْبي! أَجَلْ]
259 ـ وَأَلْقَى إِلَى غَالِيَاتَ الثِّيَابِ وَالبَزِّ نَظْرَةَ لاَ مُحْتَفِلْ!
260 ـ وَوَلى كَئِيبًا ذَلِيلَ الخُطَا، بَعِيدَ الأَنَاةِ، خَفِّي الغُلَلْ [197]!
261 ـ وَأَوْغل فِي مُضْمرَاتِ [198] الغُيُوبِ يَطْوِي البَلاَبلَ طَيَّ

187 () الضباب تخرج من جحورها إذا دهمها السيل.
188 () الأعطاف (جمع عطف): وهو الجانب، من الرأس إلى الورك.
189 ()الكبل: القيد الضخم الثقيل. والغل: القيد الذي يجمع الأيدي إلى الأعناق.
190 () الناشط: الجاذب الدلو من البئر. والرشاء: حبل الدلو الطويل.
191 () ملجلجة: مترددة ثقيلة لاتكاد تخرج أو تدخل: هلل: فزع وفرق ونكوص.
192 () ركين: عالي الأركان ثقيل.
193 () لأيا بلأي: بعد مشقة وجهد وإبطاء واحتباس.
194 () خامره: غشي نفسه. أبل: برأ من مرضه وأفاق.
195 () تزهر: تتلألأ. تأتكل: تتوهج كالنار إذا اشتد لهبها، وأكل بعضها بعضا.
196 () انتحى: اعتزل ناحية.
197 () الغلل (جمع غلة): وهي حرارة الحزن.
198 () المضمرات: البعيدة التي يخفى مكانها، والغيوب (جمع غيب): هو الأرض

السِّجِلّ
262 ـ أَرَادَ لِيَنْسَى وَبَيْنَ الضُّلُوعِ نَوَافِذ مِنْ ذِكَرٍ تَنْتَضِلْ
663 ـ فَأَحْيَتْ صَبَابتَهُ، وَالجِرَاحُ دِمَاءٌ مُفَزَّعَةٌ لَمْ تَسِلْ
264 ـ تُرِيهِ الرُّؤَى وَهْوَ حَيُّ النَّهارِ، وَتسْري بِهِ وَهْوَ لَمْ يَنْتَقِلْ
266 ـ وَيَبْسُطُ كَفَّيه مُسْتَغْرِقًا، فَتَحْسَبُهُ قَارِئًا قَدْ ذَهِلْ
267 ـ يَرَى نِعْمَة لَبِسَتْ نِقْمَةً، وَنُورًا تَدَجَّى [199]، وَسِحْرا بَطَلْ
268 ـ وَآيَتَهُ [200] عَاثَ فِيهَا الشُّحُوبُ فَأنكَرَ مِنْ لَوْنِها مَا نَصَلْ
269 ـ وَأسَرارَهَا [201] فَضَّهَا طَائف لَهُ سَطْوَة وأَذى حَيْثُ حَلْ
270 ـ وَسَحْقَ [202] غِشَاءِ عَلَى أَعْظُمُ، تَهَّتَك مثْلَ الأدِيم النَّغِلْ
271 ـ وَمَسْتْ أَنامِلَهُ رَجْفَةٌ، تَسَاقَطَ عَنَها سَنَاهَا [203] وَزَل
272 ـ وَأَفْضَى بَنظْرَتِهِ نَافِذًا إلى غَيْبِ مَاضٍ بَهَيمِ [204] السُبُل
273 ـ تَلاَوَذُ [205] أَشباحُهُ، كَالذَّليلِ، بِلُغْزِ نَخِيلٍ، وَدَاجِي دَغَلْ
274 ـ وَأَسْوِدَةً خَطِفَتْ فِي الظلاَم هَارِبة مِنْ صَيُودٍ خَتَلْ
275 ـ وَطَيْرًا مُرَوَّعَةً أَجْفَلَت، وَآمِنَ طَيْرٍ وَدِيعٍ هَدَلْ [206]
276 ـ وَشقَّت لَهُ السُّدَفَ [207] الغَاشِيَاتِ حَسْنَاء ضالٍ عَلَيهْا الحُلَلْ

المطمئنة، التي يغيب فيها سالكها، والبلابل: قلقات الهموم. والسجل: الكتاب أوالصك الذي يطوى. نوافذ: ماضيات، كالسهام تنفذ في النفس . تفتضل: تترامى وتختصم.

199 () تدجى: لبسه الظلام.

200 () الآية: العلامة العجيبة، وهي يده. نصل: طفىء لونها وذهب.

201 () أسرار الكف: خطوطها التي تدل على المغيب من أسرارها.

202 () السحق: البالي المنسحق. تهتك: تخرق وتساقط. الأديم: الجلد المدبوغ. النغل: الذي فسد دباغه فتفتت وترفت.

203 () السنا: الضوء العالي.

204 () بهيم: مظلم لا ضوء فيه، ولا منفذ لبصر.

205 () تلاوذ: تدور كأنها تطلب ماتلوذ به. اللغز: الطريق الملتوي المشكل يضل سالكه. الداجي: الساتر الذي يلبس ما فيه ويستره. والدغل: الشجر الملتف المشتبك النبت. أسودة (جمع سواد): وهو شخص الشيء، لأنه يرى من بعيد أسود. خطفت: تسرع كالشعاع الخاطف.

206 () هدل: غنى غناء الحمام.

207 () السدف: (جمع سدفة): ظلمة مختلطة بضوء يشوبها. الضال: السدر ينبت في السهول. تسوى من قضبانه السهام.

277 ـ أَضَاءَ الظَلاَمُ لَهَا بَغْتَةً، وَقَوَّضَ خَيْمتَهُ وَاُرْتَحَلِ
278 ـ أَطَلَّتْ لَهُ مِنْ خِلاَل الغُصُونِ عَذْرَاء مَكْنُونَة لَمْ تُنَلْ
279 ـ «رَأى غَادَةً نُشّئَتْ فِي الظِّلاَلِ، ظِلاَل النَّعِيـم»، عَلَيْهَـا الكللْ [208]
280 ـ عَروسٌ تَمَايَلُ مُخْتَالَةً، تُمِيتُ بدَلّ، وَتُحْيِي بِدَلَ
281 ـ وَنَادَتْه، فَاَرتَـدَّ مُسْتَوفِزًا [209] بَجُرْحٍ تَلَظى وَلِمْ يَنْدمِلْ:
282 ـ أَفِق! قَدْ أَفَاقَ بِهـا العَاشِـقُون قَبْلَـكَ، بَعْـدَ أَسـىً قَـدْ قَتَلْ!
283 ـ أَفِقْ! يَا خَلِيلِي! أفِق! لاَ تَكُـنْ حَلِيـف الهُمُـومِ، صَـرَيع العِلَلْ
284 ـ فَهَذَا الزَّمَانُ، وَهَذِي الحيَاةُ، عَلّمْتِنيها قَدِيمًا: دُوَلْ!!
285 ـ أَفِقْ! لاَ فَقَـدْتُكَ! مَـاذَا دَهَـاكَ؟! تَمَّتـعْ! تَمَتَّـع! بِهَـا! لاَ تَبلْ!
286 ـ بِصُنْعِ يديْك تَرَاني لَدَيْكَ، فِي قَد أُخْتِي! وَنِعْمَ البَدَلْ!
287 ـ صَدَقْتِ! صَدَقْتِ!. وَأَيْنَ الشبَابُ؟ وَأَيْنَ الوَلْوعُ؟ وَأَيْـنَ الأَمَلْ
288 ـ صَدَقْتِ صَدَقْتِ!!.. نَعْمَ قَدْ صَدَقْتِ! وَسِر يَـدَيْك كَـأنْ لَمْ يَزَلْ
289 ـ حَبَـاكَ بِـهِ فَـاطِر النَيِّـراتِ، وَبَـارِي النَّبَـاتِ، وَمَرْسِـي الجَبلْ
290 ـ فَقُمْ! وَاسْتَهِلَّ [210]، وَسَبِّحْ لَهُ! وَلبّ لِرَبٍ تَعالىَ وَجَلّ

.... وَأستغْفِر اللَّه، فإلا تكنْ رَضيتَ فقد أَمْلَلْتـك، وَإذَا أنـا قـد أسأتُ من حيثُ أردْتُ الإحسان.. ولكنَّـكَ بعثـتَ كَـوامِنَ نفسِـي مُنْذ رأيتُك، فتوَسَّمْتُ وَجْهـك، وعرفـتُ فيـه شـيئًا أخطـأتُه فـي وُجوه كثير من أهـلِ زَماننـا، فـأحببتُ أن أعِظـك وَأعـظَ نفسـي بِنْعمة اللّه عَلَى عبـاده، إذ جَعَـل بعضَـهم لبعـضٍ قُـدوةً وَعِبْـرَةً، وَآتاهُم من مكنونِ عِلْمه مالا يغْفلُ عَنْه إلاّ هالكٌ، ولا يُضَّـيعه إلاّ مُسْتَهينٌ لا يبالي. وقد بلّغنَا رسـولُ اللّـه عـن ربـهِّ بلاغًـا يُضـيء لكَل حَيٍّ نَهْجَ حياتِه، ويُمْسِكُ عليـه هَـدْي فِطرتـه، إذ قـال: «إنّ اللّه يُحِبُّ إذَا عَمِل أَحَدُكُم عملاً أن يُتْقِنَه» وقال: «إنّ اللّه كتَبَ

---

208 () الكلل (جمع كلة): وهي الستر الرقيق، كالذي تكون فيه العروس.
209 () المستوفز: هو القاعد إذا استقل على رجليه يتهيأ للقيام، ولما يستو قائما بعد.
210 () استهل: رفع صوته بالإهلال والتلبية لله سبحانه.

الإحْسانَ على كُلِّ شيء، فإذَا قَتَلْتم فأحسِنُوا القِتلة، وإذا ذَبَحْتُم فأَحْسِنُوا الذِّبْحة، وَليُحدَّ أحدُكُمْ شَفْرتَه، ولْيُـرِحْ ذَبِيحتَـه» فَـانْظُر إلى أين كتب اللّه عَلَينا أن نبلُغَ في إتقان ما نَصْنع، وإحسانِ مـا نَعْمَل!

اللهُم إنَّا نسألُك الثبـاتَ فـي الأمـر، والعزيمـةَ علـى الرُّشْـد، والإتقَان في العَمَل، وَالإحسانَ فيما نأتي وما نَذر. وَنسْأَلُكَ مــنْ خير ما تَعْلم، ونعوذُ بِك من شَرّ ما تَعْلم. وَنسـألُك قَلْبـا سَـلِيمَا، ولسانًا صادقًا، وعملاً صالحًا، وسَداداً في الخير. والسـلامُ علـى مِنْ اتَّبَع الهُدَى.

من أخيك..
محمود محمد شاكر
القاهرة: 17 ربيع الآخر سنة 1371هـ
15 يناير سنة 1952م

نشــر فــي مجلــة (الأدب الإســلامي) عــدد (16) بتاريــخ (1418هـ)

****

(لا ريب عندي أن الشعر الحديث قد ضل كثيرا حين لم يهتد إلى "القوس العذراء "، وأن الناقد الحديث قد سار في تلك الطريق المضللة نفسها حين أغفل تلك القصيدة) "
د: إحسان عباس .

(من المؤسف أن الشاعر سكت بعد قصيدته اليتيمة " القوس العذراء " ولو شفعها بأخوات لها لقطع الطريق أمام الكثيرين من شعراء هذا العصر)
جليل العطية .

(قصيدة " القوس العذراء " رؤية جديدة في الإبداع الفني ، تأخذ مكانها في الذروة من الأعمال الرائعة في أدبنا المعاصر، بل في الأدب الإنساني في كل زمان ومكان)
د . محمد مصطفى هدارة .

****

ماذا يمكن لنا أن نضيف على هذه الرؤى حول قصيدة بهذا الحجم و القدر في نظر كثير من نقاد العصر الحديث، وفي قصيدة تعاقب على دارستها أساتذة متخصصون، بل ويحضر فيها الآن رسالة لنيل درجة الماجستير.

نعم إنها القوس العذراء لشيخ العربية محمود شاكر قصيدة تربو أبياتها على 300 بيت شعري.

وليس سر شهرتها وروعتها في عدد أبياتها ، أو في عاطفتها الجياشة ، أو شيء من الخصائص اللغوية التي تمتدح بها أشعار العرب وإن كانت لا تخلو من كل ذلك، ولكن سر روعتها في عبقريتها.

عبقرية هذه القصيدة يكمن في أنها جاءت صوتا وصدى لقصيدة لشاعر قديم هو الشماخ بن ضرار، يصف فيها قوسا قطعها وقومها وسواها وأحبها وظلت رفيقة دربه وعمره، ثم وافى موسم الحج فاضطر لبيعها فباعها.

وجاء الشاعر والعلامة العبقري محمود شاكر ليفجر القصيدة القديمة ويقرأها قراءة شعرية ويدير حولها قصة مطولة بأبيات من الشعر تصور هذه العلاقة الحميمية بين هذا

الصـياد وهـذه القـوس ، روحـان امتزجتـا رصـد فيهـا نبضـات المشاعر ونبض القلوب مـن يـوم أن كـانت القـوس عـودا فـي شجرة في غابة نائية ، إلى أن أضحت في أحضان الصياد غانيـة جميلة محبوبـة، وتتزايـد حـدة الموقـف وتنسـاب الـدموع حيـن يسام خسفا وهم يسـومونها منـه فـي موسـم الحـج ليشـتروها بثمن بخس، ويعيـش الصـياد فـترة مـن الصـراع المـر والـتردد والحيـرة تصـوره القصـيدة تصـويرا لا مثيـل لـه ..وفـي دهشـة الموقف تنبس الشفتان ببيع القوس العذراء... ويستيقظ الصياد على أصداء من نغمات المشترين " بعْ .. لا تبع ..بع ...لا لا ..بـع .." وقد فقد أعز من / ما يملك..

هذه الكلمات التي ندونها هنا لا تفي القصـيدة حقهـا ، وهـي عاجزة عن وصف روعتها، ولا نملك هنا في مجلة الساخر إلا أن نقدمها لرواد هذه المجلـة تحيـة حـب ووفـاء لتواصـلهم الكريـم ورحم الله محمود شاكر شيخ العربية وإمام المحققين . انتهى..

ومن الدراسات التى أقيمت حولها :

القـوس العـذراء وقـراءة الـتراث (العـالم الفاضـل وريـث المدرسة الشاكرية الدكتور محمد محمد أبوموسى -حفظه الله -) وهو كتاب رائع كسائر كتبه ، وأنا أنصـح كـل مسـلم بقـراءة مقدمات كتب هذا العلم -بارك الله في علمـه وجهـده- ، وكتبـه من مطبوعات مكتبة وهبة بالقاهرة)

القوس العذراء (د.إحسان عباس-رحمه الله-)

القـوس العـذراء رؤيـة فـي الإبـداع الفنـي (الـدكتور محمـد مصطفى هدّارة)